﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج: 27]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا أحسنَ ممّن دعـا إلى الله وبلّغ عنه

لمّا ذكر الله تعالى في الآية السابقة تشريف إبراهيم عليه السلام بالمحلّ الكريم مكانَ البيت، وجعل في ضمن ذلك تكليفه بتطهير نفسه بعدم الشّرك، وتطهير بيته لأجل الزّائرين له، كان ذلك بمثابة التّمهيد لتكليفه بإعلان النِّداء إلى فريضة الحجِّ؛ فاستأهل بهذه التّكاليف أن يكون إمامًا يُنادي في النّاس ويُؤذِّن فيهم بالبلاغ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَذِّن﴾: (أذن) تدلُّ كثيرٌ من اشتقاقاتِه على معنى العِلْم، والأذان هو: الإعلام، وأصله: أذِنَ؛ أيْ: عَلِم الشَّيءَ سَماعًا بأُذُنه، وأذّن تأذينًا إذا أكثَر من إعلام غيرِه، وآذَنَه إيذانًا: أعلَمَه، فالتَّركيبُ دائرٌ حول العِلم بالشَّيء والإعلام به[1]، والمُراد في الآية: أعْلِم النّاسَ بالحجِّ.

2) ﴿رِجَالٗا﴾: أصل (رجل) يدلُّ على العضو الَّذي هو رِجْلُ كلِّ ذي رِجْل[2]، والرِّجْلُ: هو العضو المخصوص بأكثر الحيوان[3]، ورجال: جمع راجِل؛ وهو الماشي على رِجْليْه؛ وهو المعنى المقصود في الآية الكريمة.

3) ﴿ضَامِرٖ﴾: أصل (ضمر) يدلُّ على دِقَّةٍ في الشَّيء، ومنه قولهم: ضَمَر الفرسُ وغيرُه ضمورًا، وذلك من خِفّة اللَّحم، وقد

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفَّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (أذن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجل).
(3) الرَّاغب، المُفردات: (رجل).

يكون من الهُزال[1]، والمُراد هنا: ركبانًا على البعير الضّامر أو الفرس الضّامر.

4) ﴿فَجٍّ﴾: أصل (فجّ) يدلّ على تفتُّح وانفراج[2]؛ من ذلك: الطَّريق الواسع بين جبلَيْن، أو في جبل بأن يكون شَقًّا فيه، أو في قُبُل جَبَل، وقيل: هو ما انخفض من الطُّرق، ولذا وصف في الآية بـ﴿عَمِيقٍ﴾، وقيل: كلُّ طريقٍ بَعُدَ فهو فجٌّ، وهذا يُناسب وصفه بالعميق كذلك[3]، والمُراد به في الآية الكريمة: الطريق أو كلّ وادٍ غامض[4].

5) ﴿عَمِيقٍ﴾: أصل (عمق) يدلّ على البُعد إلى أسفل[5]، والعُمْق إذا كان صفةً للطَّريق؛ فهو البُعد الأُفُقيُّ، وإذا كان صفةً للبئر؛ فهو بُعد قعرِها الرَّأسيّ[6]، والمُراد هنا: البُعد الأفقيُّ في مسافة الطَّريق.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

على العبد تأدية ما عليه وعلى الله وحده إنجاح المقاصد

ذكر اللّهُ سبحانه ما أمر به نبيَّه إبراهيم بعد أن بوّأه مكان البيت قائلًا له: وأعلِم النّاس - أيّها النّبي - أنَّ الله فَرَضَ على المُستطيعين منهم أن يقصِدوا هذا البيت فيُلبّوا نداءَك، ويأتوك على مختلَفِ أحوالهم مُشاةً وركبانًا على كل ضامرٍ من الإبل؛ وهو: (الخفيف اللَّحم من السَّيْر والأعمال لا من الهُزال)، يأتين من كلِّ طريقٍ بعيدٍ[7].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### موقع جملة: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ ودلالةُ ترتيب هذه المعاني:

طهارة الباطن والظّاهر تمهيدٌ لإقامة الفريضة

جملة: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ معطوفة على الأمر والنّهي قبله في جملة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضمر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجّ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فجج).
(4) السَّمين، عُمدة الحُفَّاظ: (فجج).
(5) الرَّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عمق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمق).
(7) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن، ص: 491، ونخبة من أساتذة التَّفسير، التفسير الميسر، ص: 335.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[1] وجملة ﴿لَّا تُشْرِكْ﴾، كأنّه قيل: ﴿لَّا تُشْرِكْ﴾.. ﴿وَطَهِّرْ﴾.. ﴿وَأَذِّن﴾، وجاء قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ بعد قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ وقوله: ﴿لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾؛ للإشارة إلى أنّ التَّسويق للمكان والإعلام به والدَّعوة لزيارته مُترتّبةٌ على تهيئتيْن: تهيئة المُستضيف في نفسه وشخصه، ليكون على أكمل جاهزيَّةٍ وأتمِّ استعدادٍ في الاستضافة والإعلان، ويُعبِّر عنه قوله: ﴿لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾، وتهيئة المحلّ والمكان الَّذي هو مقرّ الزّيارة والوِجْهة المقصودة بالتَّأذين إليها[2].

### دلالةُ التَّضعيف في: ﴿وَأَذِّن﴾:

التَّضعيف مُؤذِنٌ بالتّكرار أو ما في قوَّة التّكرار ولو مَرّة

تضعيف عين الفعل في قوله: ﴿وَأَذِّن﴾ مُشعِرٌ بتكرار الفعل وتجديده؛ أيْ: (أذِّنْ مِرارًا وتكرارًا) حتّى يكثر النّداء بالتَّأذين في النّاس، فكثرة الأذان تُناسب كثرة النّاس[3]، ففي التَّضعيف إنباءٌ بكثرة مَن يأتون البيت الحرام، وهذه دلالة غيبيَّة، وقد ثبتت في الواقع.

### دلالة التَّعدية بحرف الوعاء ﴿فِي﴾:

دعـوة الأنبيـاءِ نافِذَةٌ في العقول والقلوب

تعدية الأذان بحرف الوعاء في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾، ولم يَقُلْ: (وأذّن للنّاس)، أو (أذّن إلى النّاس)؛ لأنّه أراد أن تكون الخلائق - ؛ والأذانُ واصلٌ إليها - أوعيةً للأذان، ولا تكون أوعيةً لهذا الأذان إلّا بأنْ يقع الأذان منهم موقع المظروف من الظّرف، فينخرط في أفئدتهم وتنطوي قلوبهم عليه، ويكأنّه يشير بذلك إلى ضمان الاستجابة والتّلبية منهم لهذا الأذان؛ لأنّهم لن يستجيبوا له إلّا إذا كان هذا الأذان حاصلًا فيهم لا مُجرَّد كونه واصلًا إليهم، فكم من نداءٍ وصل إلى الأسماع ولم يقفز في العقول والألباب، فاستحالتْ معه التَّلبية، وامتنعت إليه الاستجابة.

(1) صافي، الجدول: 17/ 108.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 242.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 242.

### معنى (أل) في ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

في الشَّرائع ما هو قديمٌ مُمتدٌّ يدوم تكليف النّاس به

في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ نجد أنَّ (أل) في لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس، فيدخل فيه الموجودون منهم ساعة الأذان دخولًا أوليًّا، ويدخل فيه مَن سيوجد منهم إلى يوم يُبعثون؛ لأنّه من خطاب الأنبياء بالتَّكليف المُمتدّ في ذراريهم من بعدهم؛ فلا ينقطع بانقطاعهم[1].

### نكتةُ تقديمِ قولِهِ: ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾ على قوله: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾:

التقديم احتفاءٌ بالنّاس وتشريفٌ لهم في مقام التَّكليف

لم يُقل المولى سبحانه وتعالى في السّياق الكريم: (وأذّن بالحجّ في النّاس) لإفادة الاختصاص والحصر، بتقديم المقصود أصالةً من الخطاب، فالمُكلَّف بالخطاب أحقّ بالتَّقديم من موضوع الخطاب، وهذا احتفاءٌ بالنّاس وتشريفٌ لهم في مقام التَّكليف.

### معنى الباء وأل في: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ ودلالة الاقتصار على هذه اللفظة:

لكل شعيرة من شعائر الإسلام أماكنها وآدابها

الباء في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ على بابها من إفادة التَّعدية، و(أل) في قوله: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ للعهد الذِّهنيِّ؛ وهو حجُّ بيت الله الحرام الرُّكن الخامس من أركان الإسلام، ولم يَقُل في السّياق الكريم: (وأذن في الناس بحجِّ بيتي أو بحجِّ بيت الله الحرام) وذلك إيجازًا؛ لكون المعدول عن ذِكْرِه معلومًا من السّياق؛ فالحجُّ لا يكون إلّا إلى البيت الحرام.

### موقع جملة ﴿يَأْتُوكَ﴾ ممّا قبلها:

جملة الأمر وجوابه لتقرير التَّكليف ومُطاوعةِ المُكلّف له

الفعل المضارع في قوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مجزومٌ لوقوعه جوابًا للأمر في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ مع عدم اقترانه بالفاء، وجملة جوابِ الأمر لا محلَّ لها؛ لأنَّها على تقدير شرطٍ: (إنْ تؤذِّن فيهم يأتوك)[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 242.
(2) صافي، الجدول: 9/ 108.

**نكتةُ إسنادِ الفعل إلى ضميرِ الخطاب: ﴿يَأۡتُوكَ﴾:**

أُسنِد الفعل إلى ضمير خطابِ إبراهيم ﷺ: ﴿يَأۡتُوكَ﴾؛ لأنَّ الإتيان إلى مكّة بسبب ندائهِ - إتيانٌ إليه، وأيضًا: هو أوَّل مَنْ حجّ وغيرُه يقتدي بهِ وكأنَّه يأتيه، ففيه تشريفٌ لإبراهيم ﷺ[1]، وقيل: تعليق الفعل بضمير خطابه للدّلالة على أنّه ﷺ كان يحضر موسم الحَجّ كلّ عام، والنّاس تأتي إليه يُعلِّمهم ويدعوهم[2]، وفي إسناد الإتيان إلى المفعول الواقع ضميرًا لإبراهيم ﷺ - أيضًا مجازٌ عقليٌّ بإسناد الفعل إلى غير مفعوله الحقيقيِّ؛ لأنّ إتيانهم ليس لإبراهيم؛ بل إلى البيتِ لأجل اللّه، لكن لمّا كان الخليل ﷺ سببًا لبناء البيت وسببًا لإتيانهم بتأذينه؛ أُسند الفعلُ إلى سببه مجازًا[3]، ويصحُّ أن يكون في قوله: ﴿يَأۡتُوكَ﴾ مجازٌ بحذف المُضاف، بإسناد ما هو للمُضاف إلى المُضاف إليه، والتَّقدير: (يأتون بيتك الَّذي بنيته)، فحذفَ البيتَ وأقامَ المُضاف إليه مقامَه وهو ضمير الخطاب[4].

أُسنِد الإتيانُ لضمير إبراهيم إيذانًا بأنّه شهيدٌ على أعمالهم أمام الله

**نكتة تقديم ﴿رِجَالٗا﴾ على قوله:**

قُدِّم قوله ﴿رِجَالٗا﴾ على الرُّكبان في قوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾؛ لأنّ المُترجّل عادة ما يكون هو الأقرب من الحرم، فيدخل فيه المُقيم والمُجاور للحرم أو لمكّة، والأقرب أحقُّ بالبدء، ولأنّ الرّاكب عادةً ما يأتي من بعيدٍ؛ فقد ناسبه التَّأخير في النّظم؛ لأنّه متأخّرٌ في موضع إقامته عن المقيم الرّاجل؛ وعليه فهو يناسب التَّرتيب في قوله: ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾، والتَّرتيب في قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾، وأيضًا: للاهتمام والعناية بمقام الرّاجل؛ فإنَّ السَّعي على الأرجل أشقُّ من السَّعي على ظهور الإبل[5].

السَّعيُ على الأرجل أشقُّ من السَّعي على ظهور الإبل

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 38.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 243.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 48.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 48.
(5) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 69.

الحجُّ لا يستلزم الرُّكوب وتسلية مَـــن لا يملك ركوبًا

وفي تقديم الراجل على الراكب احتراسٌ من توهُّم أنَّ الاستطاعة الواجبة في الحجِّ تستلزم الرُّكوب والسّفر بالرّواحل، فأخبر أنّها كافيةٌ بمجهود البدن ولو من غير راحلة، وأيضًا: في تقديم الرّاجلين على الرّاكبين تسليةٌ وإيناسٌ لمَنْ لا يستطيع رُكوبًا ووسيلةً إلّا على رِجْليه، وتهذيبًا لمُستطيع ذلك ألّا يزدري أحدًا ممّن لا يملك استطاعة الرّكوب[1].

إشعارٌ بسرعة الاستجابة وإشارة إلى أن الأصل هو التَّرجُّل

وفي تقديم الرّاجل على الرّاكب أيضًا إشعارٌ بالإسراع في تلبية النّداء على الفور؛ ففيه مدحٌ للنّاس؛ لأنّ ترجُّلهم إفادةٌ على سرعة جاهزيَّتهم واستعدادهم بقرينة جواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ أيْ: بمجرّد تأذينك فيهم يأتوك على الفور، وأيضًا في تقديم ﴿رِجَالًا﴾ إشارةٌ إلى الهيئة الأصليّة وهي الأسبق فقُدّمت؛ لأنّ الأصل أن يكون الإنسان راجلًا لا راكبًا.

**معنى الواو في جملة: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾:**

توزيع الأحوال على أقسام النّاس

جملة ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ معطوفةٌ على ﴿رِجَالًا﴾، والواو فيها واو التَّقسيم الَّتي بمعنى (أو)؛ فالعطف للتَّوزيع؛ أيْ: توزيعُ هاتيْن الحالَيْن على الآتين؛ أيْ: يأتوك منهم راجلٌ ومنهم راكبٌ، والغرض من هذه الواو استيعاب الأقسام والأحوال؛ فقِسْمٌ يأتي راكبًا، وقِسْمٌ يأتي راجلًا[2]، ويدخل في قوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الإتيانُ على الوسائل الحديثة.

**نكتة التَّعبير بصفة الضُّمور:**

وصف الإبل بالمآل الَّذي انتهت عليه إلى مكّة

لم يُقل في السّياق الكريم: (رجالا وركبانًا)؛ وإنّما قال: ﴿رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنّه أراد الإخبار عن الحالة التّامّة للمسافر الَّتي تصفه وتصف راحلته وتصف طول المسافة ومقدار العناء، فوصف

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 69.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 243.

المركَبِ بالضّامر يشهد بعناء المُسافر وبُعد السّفر[1]، وهذا التَّشديدُ في وصف العمل ينظر إلى التَّشديد في يوم الحساب الَّذي يكون فيه العقاب على العمل السَّيئ، والثّواب على العمل الصالح؛ قال تعالى في مطلع السّورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحجّ: 1].

### دلالة النّصّ بالعموم ومجاز الحذف في: ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾:

خـــروج لـفـظ الـعـمـوم عـن إفـادة الإحـاطـة إلى إفادة الكثرة بقرينةٍ

لفظ العموم ﴿كُلِّ﴾ في قوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يُفيد الكثرة لا الإحاطة وذلك بقرينة المقام؛ أيّ: على كلّ ضامرٍ يُراد منه قصد البيت على غرار قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: من كلّ ثمرةٍ تشتهيها؛ فالعموم المُستفاد من ﴿كُلِّ﴾ يُفيد الإحاطة في الأفراد المحصورين بالقيد، وليس الإحاطة المطلقة[2]، وفي تركيب ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ إيجازٌ بحذف الموصوف، وإقامة الصّفة مقامه، وهذا الحذف من المجاز، والتَّقدير: (وعلى كلّ بعيرٍ ضامر)[3].

### دلالة جمع الضَّمير في: ﴿يَأۡتِينَ﴾:

المُـفـرد المُـضـاف لأداة العموم هو جمعٌ في المعنى

قوله: ﴿يَأۡتِينَ﴾ صفةٌ لـ: ﴿ضَامِرٍ﴾، وجمَعَ الضَّميرَ ولم يُطابقه بضمير الموصوف المُفرد، فوصف المفرد بالجمع، مراعاةً للمعنى؛ لأنّ الموصوف: ﴿ضَامِرٍ﴾ في معنى الجمع؛ إمّا لإضافة ﴿كُلِّ﴾ إليه فمعناه الكثرة الَّتي توافق لفظ الضمير بنون جمع المؤنّث، وإمّا لأنّ لفظ ﴿ضَامِرٍ﴾ يُراد به عموم الجنس[4]، وفي الوصف بالجمع إنباءٌ بكثرة مَن يأتي البيت الحرام على غير حال التَّرَجُّل؛ فيدخلُ فيه الإتيان على الضّامر، وما في حُكْمِه من الوسائل الحديثة، ومِمّا حسَّن العدولَ إضافةُ لفظ العموم: ﴿كُلِّ﴾ إلى كلمة: ﴿ضَامِرٍ﴾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 39.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 49، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 244.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 48.
(4) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد بهامش القُونويّ: 13/ 48.

### دلالةُ تأنيثِ الضَّميرِ في: ﴿يَأْتِينَ﴾:

تعديد مرجع الضمير يؤثّر في اتّساع المعنى

أُنِّثَ الضَّمير في ﴿يَأْتِينَ﴾؛ لأنّه عائدٌ على ما لا يعقل من الرَّواحل، فحقّه التّأنيث، أو لأنّ ﴿يَأْتِينَ﴾ وقع حالًا ثانيةً من ضمير ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ فيعود على جماعات النّاس؛ أيْ: يأتوك جماعات؛ فأجرى الضَّمير بالتَّأنيث عليهم لذلك[1]، ورجوعُه على ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ على مراعاة ﴿ضَامِرٍ﴾ غير العاقل هو الظاهرُ، والتَّأنيثُ فيه معنى السُّهولة الَّذي يتْبَعُه هنا معنى الكثرة، والتَّأنيثُ على هذا يتناسب مع العدول عن الوصف المُفرَد إلى الوصف الجمع.

### نكتة إسناد الإتيان لغير العاقل:

في سورة الحجّ مُدِحَتْ الإبل الحاجّة وفي (العاديات) مُدِحتْ الخيل المُجاهِدة

إسناد الإتيان للرّواحل في: ﴿يَأْتِينَ﴾؛ لأنّ الرّواحل هي سبب إتيان النّاس، والإتيان كما يُسنَد إلى الرُّكبان حقيقةً يُسنَد كذلك إلى المركوب حقيقةً، ونكتة إسناد الإتيان إليها تشريفها ومدْحها، حيث جعلها مشاركةً للحجيج في الإتيان إلى البيت، وللإشارة إلى أنَّ الاستطاعة لا تقتصر على صلاحية البدن بالمَشْي والتَّرجُّل، وأنّها حاصلةٌ بالمؤونةِ والوسائل المُجْزِئة عن عمَلِ البدن بركوب الوسائل المُعينة والنّاجزة[2].

### دلالة التَّعبير بفعل الإتيان:

الرّاجِلُ ساعٍ بنفسه والرّاكب ساعٍ بغيره وفي كلٍّ خير

التَّعبير بفعل الإتيان في جملة جواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ﴾ وتكراره في: ﴿يَأْتِينَ﴾، فجعلَه مرّة للنّاس، ومرّةً للرّواحل، أو مرّة للنّاس بالمطابقة الصَّريحة في ﴿يَأْتُوكَ﴾، أو المطابقة المؤوّلة بالجماعات في ﴿يَأْتِينَ﴾؛ للدّلالة على تيسير الحجّ حتّى للمُشاة الرّاجِلين، فكيف بالرُّكبان المُعتَمِدين، ودلَّ على هذا التَّيسير اصطفاء لفظ الإتيان؛ فإنّه مجيءٌ بسهولة، ودلَّ عليه جملة جواب الأمر؛ فإنّها تدلّ على الإسراع والفوريّة[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 245.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 39، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 245.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 245.

### معنى ﴿مِن﴾ ودلالة ﴿كُلِّ﴾:

يأتي الحجيج من كلّ فجٍّ يبتغون الحجّ

﴿مِن﴾ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ ابتدائيّة؛ أيْ: إتيانهم بادئٌ من الفجّ العميق إلى البيت العتيق، ولفظ ﴿كُلِّ﴾ في قوله: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يدلّ على الإحاطة في الأفراد مع ملاحظة القيد؛ أيْ: من كلِّ فجٍّ يبتغون منه الحَجّ[1].

### سِرُّ إيثار التَّعبير بلفظ: ﴿فَجٍّ﴾:

الدّلالة على المشقّة الّتي يلقاها الحجيج

وعبّر بلفظ ﴿فَجٍّ﴾ دون غيره، كالطّريق؛ لأنّ الفجّ هو طريقٌ مخصوصة بالمسالك الّتي تقع بين الجبال، ومكّة محاطة بالجبال، فعبّر بالفجّ عن الطّريق تغليبًا للطّرق النّافذة إلى مكّة في الجبال على سائر ما عداها من الطُّرق[2]، ولنكتةٍ أخرى بديعةٍ: وهي مناسبة هذا اللّفظ ﴿فَجٍّ﴾ لوصف ﴿ضَامِرٍ﴾؛ لأنّ الضُّمور صفةٌ تُكنّي عن المَشقّة والبُعد، وكذلك الفجّ يقتضي هذه الصِّفة؛ لأنَّ سلوك البعير وسائرُ المراكب من خلال الفِجاج المُحاطة بالجبال أشقُّ وأصعبُ وأبعثُ على الضُّمور والهُزال من السُّلوك في الطَّريق العامَّة الواسعة[3].

### نكتة الوصفِ بالعُمق دون البُعد:

إلى البيت الحرام تشتاق النُّفوس الزَّكيَّة العليَّة

وصفُ الفجّ بالعميق في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ مجازٌ مُرسَل علاقته الإطلاق والتَّقييد، وقد أُطلق العميق الَّذي هو البُعد الرأسيّ من القعر إلى السّطح، وأُريد به البعيد مطلقًا أو البعيد أفقيًّا، ويصحّ أن يكون وصف الفجّ بالعميق على سبيل الاستعارة التَّصريحيّة، حيث شبّه موقع الأماكن بالنسبة إلى مكّة بمكانٍ خفيضٍ عنها ذي عمْق، فيقتضي الإتيان إليها صعودًا رأسيًّا بالارتفاع نحوها، أو في ذلك تشبيه للسّفر من الموطن بالإصعاد، والرّجوع إليه

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 49.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 245.
(3) مُستفاد من كلام فضيلة د، امحمد صافي المستغانمي في برنامج (في رحاب سورة)، تفسير سورة الحج، تلفزيون الشارقة.

بالانحدار والهبوط[1]، فبالإتيان إلى البيت الحرام يحصل التّرقّي الرّوحيُّ والقلبيُّ.

ولم يَقُلْ السّياق الكريم: (من كلّ فجٍّ قريب)؛ لأنَّ صفة القرب ثابتةٌ بدلالة النَّصِّ فلا تحتاج إلى تنبيهٍ، ولأنَّ التَّقييد بالبُعْد يدلُّ على القُرْب، بخلاف القرب فلا يدلّ على ضدِّه؛ ولقصد التَّقييد بما يُفيد المدح؛ فإنّ الوصف بالعمق أشقّ في تحصيل التَّلبية، فالإتيان منه أمدح للمُلَبّين[2].

كنايةٌ عن العُمْق النّفسيّ للحاجّ وتناسبًا مع كروية الأرض

والتَّعبير بوصف العميق دون البعيد كنايةٌ عن العُمْق النّفسيّ لأغوار الرّوح؛ فكلّ مَن يأتي إلى البيت الحرام يسمو ويرقى وتزكو نفسُه كأنّه قادمٌ من فجٍّ عميق[3]، واصطفَى وصفَ العميق دون البعيد أيضًا؛ لأنّ البُعد امتدادٌ سطحيٌّ أفقيّ، والعمق امتدادٌ رأسيٌّ تصاعديّ، والعمق يناسب كرويّة الأرض، ولا يناسبه وصف البعد؛ لأنّ الأرض ليست مسطّحة، فكلّ مَن يأتي إلى مكّة من بعيد هو في الحقيقة يأتي من عُمْق؛ لأنّ الأرض كرويّة الشكل[4].

### بلاغة الكناية في تعليق الإتيان بالفجّ العميق:

أكثر عمّار البيت من بلاد العَجَم البعيدة

في تعليق إتيان النّاس ركبانًا من الفجّ العميق كنايةٌ تومِئُ إلى عِلّة إتيانهم من بعيدٍ، وهو اتّساع رقعة الإسلام وكثرة المسلمين، حتّى يأتون من أقاصي البلاد يُلبّون النّداء ويحقّقون دعوة الخليل عليه السلام[5]، ويؤيدُ هذا العدولُ عن وصف الضُّامر بالمفرد إلى وصفه بالجمع، والتأنيثُ في قوله: ﴿يَأْتِينَ﴾.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 245.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 49.
(3) مُستفادٌ من كلام فضيلة د. امحمد صافي المستغانمي في برنامج (في رحاب سورة)، تفسير سورة الحجّ، تلفزيون الشارقة.
(4) مُستفادٌ من كلام فضيلة د. امحمد صافي المستغانمي في برنامج (في رحاب سورة) تفسير سورة الحجّ، تلفزيون الشارقة.
(5) الشَّنقيطيّ، أضواء البيان: 9/ 140.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»